



رسالة غبطة البطريرك صفيير الميلادية

وجه البطريرك صفيير امس رسالة الميلا الى اللبنانيين، وعنوانها

لهذه السنة "إن الله محبة" (١ يو ١: ١٤)، هنا نصها:

"ايها الاخوة والابناء الاعزاء،

١- معرفة الله بالعقل هي غير معرفته بالايمان. الاولى تضعه على مسافة بعيدة من الانسان، ولا تدركه على حقيقته، فهو يبقى امرا غامضاً. اما الثانية فتنتقلها الينا الكنيسة، وهي مبنية على كلمة الله التي نجدها في الكتب المقدسة. وهذه تعلمنا ان الله كائن حي، اسمه معروف، يتكلم مع الناس، وهو ليس بتلك القوة الخفية التي تخيف وتقف بالمرصاد لتنتقم وتقتص. "ان الله محبة" يقول يوحنا في رسالته الاولى. وقد ذهبت به محبته الى حد التضحية بذاته في سبيل الناس. وهذه هي عظمتة وحنوه على الانسان ورأفته به. واسمى تعبير عن محبة الله للناس يتجلى في سر التجسد. وبواسطة هذا السر حقق الله قصده الازلي، اي بابنه الوحيد الذي هو اله صار انسانا، والذي به خلص العالم. يقول دستور عقائدي في الوحي الالهي من المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني: "ارتضى الله، في رأفته وحكمته، ان يظهر ذاته، وان يكشف سر مشيئته، الذي به يتوصل البشر الى الآب، بالمسيح الكلمة المتجسد، في الروح القدس، ويصيرون شركاء في الطبيعة الالهية وقد سبق للقديس يوحنا فم الذهب ان اكد انه من العبث ان نحاول كشف النقاب عن سر التجسد بقوله: "اننا نرى ان يسوع خرج منا، ومن جوهنا البشري، وانه ولد من عذراء: ولكننا لا نفهم كيف كان في امكان هذه الاعجوبة ان تتحقق فلا نتعبن في البحث عن اكتشافها، بل فلنقبل بتواضع ما اوحاه الله الينا، دونما تدقيق في البحث، بدافع من فضول، عما اخفاه الله عنا".

٢- والى سر التجسد مرد ما يشعر به المؤمنون من فرح باطني بهذا العيد. وهو انهم يؤمنون بأن المسيح هو ابن الله الذي صار انسانا مثلنا ما عدا الخطيئة. وهو باق معهم، يعاني ما يعانون، ويحزن لما يحزنون له، ويفرح بما يفرحون به. ومهما تلبدت الغيوم في سماء حياتهم، فان أشعة شمس المسيح لا تلبث ان تشق هذه الغيوم لتنفذ الى زوايا ضمائرهم لتنيرها، وتبعث فيها حرارة الرجاء المسيحي. والمؤمن بالمسيح لا يمكنه ان يفقد الرجاء، مهما توالى عليه النكبات، لانه لا ايمان صحيحا من دون رجاء. يقول التعليم الروماني القديم: "ما من شيء في امكانه ان يثبت ايماننا ورجاءنا مثل الاعتقاد اعتقادا راسخا مطبوعا في نفوسنا بأنه ما من أمر مستحيل لدى الله. ذلك ان كل ما يقترحه علينا قانون الايمان لنؤمن به، من اكبر الاشياء الى أعسرهما فهما، وأسماها علوا فوق ما للطبيعة من قواعد، فما ان يفكر عقلنا بقدرة الله حتى يسلم به بسهولة ويدون تردد.

ايها الاخوة والأبناء الاعزاء،

٣- ما أوجنا في هذه الايام الى تجديد ايماننا بالله وتعميقه. وان كل ما يحوطنا لا يحمل على التفاؤل. وقد بلغ الكره من بعض الناس مبلغا يدفعهم الى قتل بعضهم بعضا بطريقة عشواء تذهب بأعداد كبيرة من الابرياء دون شفقة او رحمة. ولا حاجة بنا الى الذهاب بعيدا لنرى هذا المشهد المأسوي. فهو يجري على مقربة منا. وفي كل يوم تسقط ضحايا، ويشيع قتلى، وتسيل دماء أطفال وشيوخ لا علاقة لهم بما يجري حولهم، ولا مطلب لهم من الحياة سوى ان يعيشوا بطمأنينة وأمان، وسلام. والسبب في ذلك يعود الى انتفاء العدالة، على ما قال قداسة الحبر الاعظم البابا يوحنا بولس

الثاني في رسالته في مناسبة يوم السلام العالمي لهذه السنة وعنوانها: "لا سلام دون عدالة، ولا عدالة دون غفران" وعلل ذلك بقوله: "ان السلام الحقيقي هو ثمرة العدالة، وهي فضيلة أدبية وضمانة شرعية تسهر على احترام الحقوق والواجبات احتراماً كاملاً، وعلى توزيع الارباح والاعباء توزيعاً منصفاً. ولما كانت العدالة البشرية هي دائماً سريعة العطب ومنتقصة، معرضة، كما هي في الواقع، للوقوف عند حدود الاشخاص والجماعات وأنانياتهم، يجب ان تمارس، وتكتمل نوعاً ما، بالغفران الذي يشفي الجروح ويعيد في العمق العلاقات البشرية المختلفة (عد ٣).

٤- وإذا نظرنا الى أوضاعنا الداخلية، أفليس هذا ما تقتضيه منا، ومن المسؤولين من بيننا بالدرجة الأولى العدالة والغفران لتتم المصالحة في مجتمعنا الذي لا يزال منقسماً على ذاته؟ وكيف السبيل الى تعبئة كل القوى الوطنية لمواجهة الاخطار المدممة من الداخل والخارج، سواء أكان على الصعيد الاقتصادي، ام الاجتماعي، ام السياسي. وقد رأينا ما حل بسوانا من البلدان وهي أكبر منا، وأغنى، وأقدر على معالجة وضعها الاقتصادي، ولم تفلح في ذلك.

٥- وأما في ما خص الوضع الداخلي الآتي، فإتينا التنبيه وراء التنبيه، والاذار وراء الازار، كأننا أسياذ أمرنا. وقد اصبح معروفاً ان لا رأي لنا في الكثير من امورنا لما يمارس علينا من وصاية تضعنا امام الامر الواقع. ونقابل ذلك بما يشبه اللامبالاة، وكأن الامر لا يعنيننا، فنضطر الى التكفير عن خطأ لم نرتكبه، وتجاوزات لم نقم بها. ونظهر كأننا مسؤولون عما يجري على أرضنا، فيما هو يجري على كره منا. ويبقى مجتمعنا معرضاً للتشنج، والسجناء السياسيون قابعين في السجون، والوضع المالي متدهوراً، والهجرة مستمرة، وننتهي في تجاذب المقاعد الادارية واقتطاع الحصص، كأن لا مشكلة في لبنان غير هذه المشكلة، على أهميتها.

٦- ولكننا، رغم كل الصعوبات لا يمكننا الا ان نتفاعل خيراً ببقظة شاملة تضع كلا منا امام مسؤولياته. ولا بد لنا من ان نذكر اخيراً ما يقوله بولس الرسول: "ونحن نعلم ان الله يعمل معاً مع الذين يحبونه، لخيرهم في كل شيء". ومن يدري فلعل ما يجري سيكون لخيرنا، ذلك ان الله وحده يعرف كيف يستخرج من الشر خيراً، او مما يبدو لنا شراً.

٧- فلنجدد ايماننا بآبنا الله المتأنس الذي شاء ان يقيم معنا وفي ما بيننا الى الابد. وانا اذ نهنكم جميعاً بهذا العيد، مقيمين ومغتربين، ننتهز هذه الفرصة لنشكر جميع أبنائنا واخواننا الذين استقبلونا، خلال هذه الزيارة، في البلد التي قمنا اليها بزيارات راعوية مؤخراً اي الولايات المتحدة الاميركية وكندا والاوروغواي والارجنتين والمكسيك، ونسأل الله بشفاعته السيدة العذراء مريم ان يجعل ذكرى ميلاده بالجسد هذه السنة علينا وعلى العالم أجمع موسم خير وبركة وعدالة وغفران وسلام".

بكري في ٢٤/١٢/٢٠٠١